التبيين

في فوائت الأدباء العصريين

الأستاذ : صبحي البصام

هذه فوائت أدباء عصريين . وقد تعقبها فوائت أُخَر في مقالات أُخر . فإن أعقبتها فلن يكون لها ترقيم يدلّ على تسلسل ، لأنها ليست مهيّأة ، وإنما تهيّأ عند حصول موادها ، واسعاف الحال بكتبها . وأقرّ بهذا ، وأنا أتعقب على أدباء أموراً ، أنهم محسنون اليّ وإلى ناس كثير بما قدّموه من علم . وما أفعله إنما هو لتزويق ماشادوه ، أو لتعديل ما أقاموه ، وذلك منهم في كتب ألفوها ، أو مخطوطات حققوها ، أو مقالات نمّقوها . ولاشك أنّ عرض أصحاب الفوائت مالديهم من علم هو أعلى من فتشي عما فيه من أغلاط ، وأين سهولة المتح من صعوبة الاستنباط . وهذا بدء تبيين الفوائت :

كتاب علم الفلك في القرون الوسطى

١ ـ دخول الفاء على خبر المبتدأ :

قال المستشرق السنيور كرلو نلّينو في كتابه « علم الفلك في القرون الوسطى ص ٧١ » المطبوع بروما سنة ١٩١١ إنّ ابن أبي أُصيبعة انحرف في كتابه « عيون الأنباء ... » عن قواعد الصرف والنحو . وقال : « أدخل الفاء فيما لايجوز دخوله » كقوله : « وأنت فقد عملت غير ماقلت لك » وكقوله : « وجميع ماتحتاج إليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك » وكقوله : « وشعره فهو الذي عجز عنه كلّ شاعر » . قلت : عبارات ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبي أُصيبعة هذه ، وهي ثلاث ، دخلت الفاء في كل منها على خبر المبتدأ . وهذا من الكلام الفصيح العالي الذي لايُعاب تأليفه ، ولا يغمص من قدره . وإنما ينكره المنكر لاعتياده لغة العصر الحديث ، وهي قد خلت من هذه الفاء أو كادت . والفاء فيه مشبهة الجزاء وليست به . وكأنها اجتلبت لتدل على وجوب وقوع الخبر . ومنه قوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [سورة النور ، آية ٢] ، ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ [سورة المائدة / ٣٨] . وقيل في الزاني والزانية إنّ التقدير فيهما : الذي زنى والتي زنت . وفي السارق والسارقة : الذي سرق والتي سرقت . فاجتلبت الفاء من أجل أنّ الاسم الموصول يضمّن معنى الشرط . كأنّ الأصل : من زنى فاجلدوه ، ومن سرق فاقطعوا يده . ومن دخول الفاء على خبر المبتدأ قول بعضهم :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا[1]

وقول عدي بن زيد :

أرواح مودّع أم بكورُ أنت فانظر لأي حال تصيرُ[2]

وقول صعصعة بن صُوحان (آخر كتاب مجمع الأمثال) : « اذا لقيت المؤمن فخالصه ، واذا لقيت الكافر فخالفه ، ودينك فلا تكلمنّه » . وقول

---

(1) [البيت من شواهد سيبويه ، وانظره في كتاب شرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي ١ : ٤١٣ ـ ٤١٤ ، وفي كتابي عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ١ : ٢١٨ ـ ٢١٩ وشرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٣٧ ـ ٣٩ / المجلة] .

(2) [البيت من شواهد سيبويه وانظره في شرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي ١ : ٤١٤ ـ ٤١٥ وفي شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٣٩ ـ ٤١ / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عباس لمعاوية « وهذا المال فليس لك فيه الاّ مـالرجل من المسلمين » (الآمل والمأمول ص ٢٩) . وقول الحجّـاج : « كلّ مـاقـالوا فقـد صـدقوا فيه » (الوزراء والكتاب ص ٤٢) . وقول الراغب الإصبهـاني : وقولـه : « ونفس وماسواها فإشارة الى القوى التي جعلهـا مقوّمـة للنفس » (معجم مفردات ألفـاظ القرآن ص ٢٥٧) . والمُثُـل في ذلـك كثيرة ، أكتفي بمـا قـدّمت منهـا . على أننـا لو قـدّرنـا اسماً مـوصـولاً مضمّنـاً معنى الشرط في الأمثلة التي تلت الآيتين الكريمتين لكان في ذلك تكلّف . وأجاز الأخفش دخول الفاء على خبر المبتدأ باطّراد . وقد يكون الأولى أن تقيّد إجـازتـه بالدلالة على وجوب وقوع الخبر أو القصد إلى تقويته . ومما يـدل على قوّة هذه الفاء أن الحاجة لاتحوج إليها مع جواب الشرط حين يكون مضارعـاً مجزومـاً ، في حين يُحتـاج إليهـا في مـواضـع لتقـويـة الربـط بين الشرط وجوابه . وقد وجدت في بعض الشواهد مايدل على جواز تقـدير « أمّـا » للفاء[1] .

كتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر

٢ ـ تعدية « اعتبر » إلى مفعولين :

قال العلامة الأب أنستاس الكرملي في تحقيقه « كتاب نخب الذخائر في أحـوال الجـواهر »[3] : « فـإنّ إجبـار النـاس على إفراغ كلّ كلمـة على فعلول بوزن هذا الوزن وصبهـا في قـالب العصفور[2] يُعتبران تعـدّيـاً على

(١) من المراجع التي رجعت إليها في هذه الفاء عدا ماذكرتـه : الكتـاب ، والمقتضب ، ومغني اللبيب ، والكشاف .

(٢) قلتُ : لو كان قال « عصفور » بلا ألف ولام لكان أجود .

(3) [كتاب نخب الـذخـائر في أحوال الجواهر لمحمـد بن إبراهيم بن سـاعـد الانصـاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩ هـ) ، حققه الأب انستـاس مـاري الكرملي وطبع في القاهرة سنة ١٩٣٩ م / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حقوق المتكلمين » (ص ٨٠) . فعدّى « يعتبر » إلى مفعولين ، والوجه أن يُقال « يعتدّان » أو يُعدّان » بالدال فيهما . وممن استعمل « اعتدّ » البعيث الحنفي ، قال (المؤتلف والمختلف ص / ٥٦) :

ويعتده قوم كثير تجارة ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وإبراهيم بن المهدي (أشعار أولاد الخلفاء العباسيين ص / ٤٤) :

أراه في فعله عدوّاً وكنت أعتدّه صديقاً

وابن جني : « ولم يعتدّوا الساكن بينهما حاجزاً » (سر صناعة الاعراب ج ١ ص ١٣١) . وابن التلميذ (شعراء النصرانية ٢ / ٣٣٢) :

قد كنتُ اعتدّ حيناً لقياك أنفس ربحِ

وابن الطرّاح (فوات الوفيات ١ / ٢٦٧) :

ماغبت عنك لهجرة تعتدّها ذنباً عليّ ولا لضعف وفائي

وشهاب الدين محمود (أيضاً الفوات ٢ / ٤٨) :

ولم لا وقد صاحبته جلّ مدتي أراه أباً براً ويعتدني نجلا

وكنت بحثت في ذلك في مقالة لي في هذه المجلة (مج ٥٥ ج ٤ ص : ٨٦٤ ـ ٨٦٦) ثم رأيت أن أُضيف هاهنا مافيه مزيد بيان . إنّ لتعدية اعتبر إلى مفعولين في عصرنا هذا سببين . أحدهما تصحيف النسّاخ إيّاها من « اعتد » كما في كتاب « بغداد مدينة السلام » (ص ٨٤) للهمداني بتحقيق الدكتور أحمد صالح العلي ، وقد مرّ النص في المقالة المذكورة ، وكما في « أخبار الأذكياء » (ص ٨٩) لابن الجوزي بتحقيق الأستاذ محمد مرسي الخولي : « ... خوفاً أن أقول لها مثل ماقالت فتعتبر بذلك طالقاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مني » . وهو نص منقول من بعض كتب الطبري ، ولم أجد الطبري استعمل « تعتبر » بهذا المعنى في كتبه . والآخر ورودها قديماً في بعض المواضع بما يوهم التعدية ، كقول الفرّاء في البرهان في علوم القرآن (٤ / ٢٣) : « فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميّز جمعاً وإفراداً » . وجمعاً حال وليس مفعولاً ثانياً ، أي بالنظر في المميّز في حال جمعه وإفراده . وكقول الزركشي في الكتاب نفسه (١ / ٣٩٢) : « يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء » ، وشيئاً حال من « الظاهر » ، أي : الظاهر متدرّجاً . وكقوله فيه (٤ / ٦٦) : « وهو أن القرآن كلام أحكم الحكماء فيجب أن يكون على مقتضى الحكمة ، فوجب اعتباره كذلك » ، و « كذلك » حال ، أي فوجب النظر فيه على ذلك النحو . وكقول الشاعر (المستطرف ١ / ١٩٧) :

اقرأ كتابك واعتبره قريبا فكفى بنفسك لي عليك رقيبا

و « قريباً » ظرف ، وكأني بقائل البيت أعاد رسالة إلى مُرسلها ليقرأها وليفكّر فيها « قريباً » ، أي وهي في يده . وأظنّ أني كنت متوهّماً في مقالتي المذكورة (مج ٥٥ ج ٤ ص ٨٦٥) اذ رأيت أنّ « اعتبرْهُ » في البيت تحريف « اعتدِدْهُ » . فهذا الاستعمال الموهم بتعدية « اعتبر » إلى مفعولين ، وتصحيف النَسّاخ ، قد جعلا الفعل يتدرّج في معناه تدرّجاً طبيعياً على مرور الأيام إلى معنى « اعتد » . حتى بات أكثر أهل الأدب يستعملونه دون اعتدّ ، من غير أن يعلموا أنّ اعتدّ هو الوجه . ومما زاد استعماله هذا نقل التراجمة « consider » الانكليزية أو ما بمعناها في لغات أُخر إلى « اعتبر » دون « اعتدّ » . ويحسن أن تجاز هذه التعدية ، لتدرّج معناها بأسلوب طبيعي ، ولغلبة استعمالها في عصرنا هذا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب دراسات في فلسفة النحو والصرف

٣ ـ تعدية « قَسَمَ » :

جرت مراسلات بين أستاذي العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله والشيخ رءوف جمال الدين مضمونها محاورات في اللغة والنحو . وكان الدكتور مصطفى جواد في أثناء ذلك يخطِّئ الشيخ رءوفاً في بعض الألفاظ . ثم نشر الشيخ رءوف المحاورات على نحو من الأنحاء ، مع تعليقات يدفع بها عن نفسه الخطأ ، وذلك في كتاب سمّاه « مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد☆ » . فألف الدكتور مصطفى جواد كتاباً سمّاه « دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة وردٌّ على رءوف جمال الدين » (بغداد ١٩٦٧) ، ردّ فيه عليه ماخالفه فيه ، واستخرج من أقاويله ما يراه خطأ جديداً . من ذلك أنه كان خطّأ الشيخ رءوفاً في قوله : « الفعل ينقسم إلى قسمين » ، لأن قسم عنده يتعدى بعلى لابإلى . فاحتج الشيخ رءوف باستعمال علماء النحو هذه التعدية في كتبهم ، ولكنه لم يذكر شاهداً لاستعمالهم إيّاها . وأصرّ الدكتور مصطفى جواد على التخطئة في كتابه المذكور (ص ١٠٣) ، واستشهد بقول الجاحظ في كتابه الحيوان : « وبعض الناس يقسم الجنّ على قسمين » (٧ / ١٧٧) ، وبقول لابن حزم الأندلسي في جمهرة النسب ، وبقول لأديب من أدباء الخريدة (القسم المصري) . والصحيح أنّ « إلى » تحل محل « على » في مواضع عدّة ، منها « قسم على » ، فيقال « قسم إلى » . وربّما عدّي هذا الفعل في بعض المواضع بـ « في » أو « الباء » ، وربما استعمل له « بين » ، فأما « قسم إلى » فكقول الثعالبي في خطبة كتابه يتيمة الدهر :

☆ اطلعت على هذا الكتاب سنة ١٩٦٨ وهو بعيد مني الآن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ثم إنّ هـذا الكتـاب ينقسم إلى أربعـة أقسـام » (١ / ٥) . وكقـول الباقلاني في اعجاز القرآن : « فمن ذلـك أنهم قسموهـا إلى حروف مهموسـة وأخرى مجهـورة » (ص ٦٦) ، وكقـول البيضـاوي في أنـوار التنزيـل في تفسيره سورة الفاتحة : « انقسم انقسام الصفة عنده إلى مـاهو نفس المسمّى والى مـاهو غيره » (ص ٤) ، وكقول بعضهم في رسـائل إخوان الصفـاء : « وحركة العين ينقسم عـددهـا إلى ثلاثـة أقسـام » (٣ / ١٣٦) ، وكقول ابن الخشاب في كتابـه المرتجل : « انقسمت الكلم إلى ثلاثـة أقسـام » (ص ٥) ، وكقول ابن باجـة في رسـائلـه : « ومنهـا صنف آخر مثل النسب ، وتنقسم إلى جيـدة وخبيثـة » (ص ٦١) ، وكقـول الأبشيهي في المستطرف : « وهي مقسومة إلى مـايـذوب وإلى مـالا يـذوب » (٢ / ١٤٣) . ومنـه مافي نفح الطيب ، وهو مما نقلـه المؤلف من كتـاب المغرب لابن سعيـد : « وقسمه إلى ثلاثة أقسام » (١ / ٢٢٥) . فتعدّي قسم بإلى فـاشٍ بين أهل العلم . وعُدّيت أفعال أُخرى بعلى وإلى ، منها : ردّ على وردّ إلى ، ودخل على ودخل إلى ، ووفد على ووفد إلى ، وقـاس على وقـاس إلى ، ويُخطئ من يمنع من تعدية قاس بإلى . ولي شواهد لذلك جميعاً . أمـا تعـدّي قسم بفي فكقول عروة بن الورد (سمط اللآلئ ١ / ٨٦) :

أقسّم جسمي في جســـوم كثيرةٍ وأحسـو قراح المـاء والمـاء بـاردُ

وأما تعديته بالباء فكقول ابن النحاس في كتـابـه شرح أبيـات سيبويـه : « فكانوا إذا حرثوا حرثـاً خطّوا في وسطـه خطـاً فقسموه بـاثنين فقـالوا : مـادون هـذا الخـط لآلهتهم ، ومـا ذرأه لله » (ص ٣٣١) . وكقـول ابن خلدون في مقدّمته : « وربما انقسمت الدولـة عنـد ذلـك بقسمين » . وأمـا استعمال « بين » فكقول بعضهم : « لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لماتوا » (تأريخ الطبري ٦ / ٢٣٢) . وكقول أبي العيناء للمتوكل وقد سأله عن بعضهم : « نعم العبد لله ولك ، مقسّم بين طاعته وخدمتك » (جمع الجواهر ص ٢٨٣) . وقد يجيء الفعل دون حرف الجرّ ودون « بين » كما في رسائل إخوان الصفاء : « لما كان الفلك مقسوماً اثني عشر برجاً وُجد في بنية الجسد اثنا عشر ثقباً مماثلاً » (٢ / ٤٦٣) . وكما في كتاب المرتجل : « وأما المعرفة فتنقسم قسمين » (ص ١٩٢) . وأكثر تعدية قَسَم بعلى وإلى . على أني لم أجد نصّاً لـ « قسم إلى » بحيث يكون القِسم لعاقل أو غيره ليأخذه لنفسه ، في حين وجدت النصوص مستفيضة لـ « قسم على » في ذلك . فيقال : قسمتُ البُرّ على الفقراء ، ولا يقال قسمت البرّ إلى الفقراء . ويُقال قسمت الشعير على الحمير ولا يقال قسمت الشعير إلى الحمير . أما احتجاج الشيخ رءوف بأنّ علماء النحو استعملوا « قسم إلى » في كتبهم فما بالى به الدكتور مصطفى جواد بالة . واحتج بأن النحاة لم ينصوا على أن « إلى » تجيء بمعنى « على » فكيف جوّزوا لأنفسهم أن يقولوا « قسم إلى » ؟ وذلك منه لايعدل ميلاً ، ولا يُقيم أَوَداً[٣] .

---

(٣) وجدت بعض المدرّسين ببغداد يخطّئون طلبتهم في تعديتهم « قسم » بإلى متابعة منهم للدكتور مصطفى جواد في رأيه . وممن تابعه في ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي ، فإنه خطّأ الدكتور سامياً الدّهان في هذه المجلة (مج ٤٦ / ج ٤ ص ٦٩٤) في تحقيقه كتاب التحف والهدايا للخالديين لقوله في المقدّمة : « وليست تنقسم إلى شعر حيناً ونثر حيناً آخر » ، فقال فيه « الذي أعرفه وجرى عليه المتقدمون في أساليبهم أنّ الفعل انقسم يتعدى بالحرف على ، فالصواب : وليست تنقسم على شعر حيناً » . وعسى أن يكون فيما ذكرته التبيين الكافي ، والبلسم الشافي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ـ معنى « بسيط » :

وقال الشيخ رءوف في كتابه المذكور « نقدّم نموذجاً بسيطاً للقارئ » فخطّأه الدكتور مصطفى جواد في كتابه المذكور قائلاً : إنما البسيط هو « الواسع والفسيح » (ص ١٢٢) . واستشهد بأسماء كتب نقلها من كشف الظنون ، قال : « وصنّف السيد ركن الدين ثلاثة شروح على الكافية ، كبير وهو المسمى البسيط ، ومتوسط وهو المسمّى بالوافية ، وهو المتداول ، وصغير » . قلتُ : قولهم (نموذج بسيط) ـ ويقال أيضاً أُنموذج بالألف وهو أجود ـ من التعابير العصرية . فإن استعمله لغوي وله في استعماله وجه علمي كان ذلك منه مقبولاً ، وان استعمله متابعة لغيره دون أن يكون له قدرة على تصحيحه فقد أوجد على نفسه السبيل . ولتصحيحه أقول : إنّ له أصلاً قديماً . وإن استعماله مبني على تدرّج لغويّ طبيعي . ولاشك أن الأصل في معنى البسيط هو الواسع الفسيح ، على أنه وُلّد منه معنى ضد المركب لم تذكره معاجم اللغة[٤] ، ومنه ماجاء في كتاب الفرج بعد الشدّة (٣ / ١١١) :

قال حمار الحكيم توما ... لو أنصفوني لكنتُ أركبُ
لأنني جاهل بسيط ... وصاحبي جاهل مركّب

فتدرّج معنى البسيط إلى معنى الشيء المبسوط الذي يكون طبقة واحدة ، بخلاف المطوي الذي يكون مركّباً من طبقتين أو أكثر ـ ومنه ماجاء في مغني اللبيب في « لكنّ » : « والبصريون على أنها بسيطة . وقال الفراء : أصلها : لكنْ إنّ » (١ / ٢٩١) . أي أنّ الفرّاء قال بتركيبها لجعله إيّاها

---

(٤) يُقال معاجم ومعجمات ، وكلاهما استعمل قديماً ، ومن خطّأ « معاجم » فقد أخطأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من جزأين . ومنه ماجاء في الإمتاع والمؤانسة : « وكما أنّ بين البسيط والبسيط فرقاً يكاد البسيط يكون به مركّباً ، كذلك بين المركب والمركب فرق يكاد المركب يكون به بسيطاً » (٣ / ١٤٢) . ومنه قولهم قديماً : العدد البسيط والعدد المركب . وقولهم في هذا العصر « نموذج بسيط » كأنه مما يُبسط ، لأن معناه يكون واضح الصورة عند بسطه ، فاستعير للنموذج الواضح الذي معناه ليس بمتراكب فتغمض صورته ، كما تغمض صورة مايُطوى بعد بسطه . وأظنّ أن أقوى ماأعان على هذه الاستعارة العبارة الانكليزية « plain example » إذ آثر التراجمة أن ينقلوها إلى « نموذج بسيط » .

٥ ـ الإشارة بـ « هكذا » :

وقال الشيخ رءوف في كتابه المذكور : « لفظ قاف يدلّ على هذا الشكل الذي صورته هكذا : ق » . فخطّأه الدكتور مصطفى جواد في كتابه في استعماله « هكذا » (ص ١٢٤) وقال : « لأن الإشارة بهكذا إلى شيء مكتوب أو ذي جسم أو معنويّ تستوجب تقدّمه عليه لاتأخّره » . واستشهد لقوله ببضعة نصوص استعملت فيها « هكذا » ، كقول السمعاني في أنسابه في بعضهم : « هذه النسبة إلى خفاجة ، هكذا ذكر لي أبو زيد الخفاجي » ، ثم قال « ولعلّ الصواب أن يقول (كهذا) بتأخير (ها) التنبيه عن حرف الجرّ الكاف . وأحسن من (ذا) أن يقول : الذي هذه صورته » . قلت : ماذكره الدكتور مصطفى جواد في تخطئته هذه لم يقل به أحد من العلماء . وممن بحث في كذا وهكذا ابن هشام في مغني اللبيب (١ / ١٨٧) ، ومختصر ماقاله أن الكاف في كذا للتشبيه ، وذا للإشارة ، وتدخل عليها (ها) التنبيه . ولم يخصها بوجه من وجوه الاستعمال عند الإشارة بها . فإن كان ماقال به الدكتور مصطفى جواد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استدلالاً من استقرائه نصوصاً في استعمالها فاستدلاله يُنقض بنصوص أُخَر جاءت على نقيض نصوصه . وذلك كقول معاوية بن مروان بن الحكم لطحان في حمار له : « أفرأيت إنْ قام ثم قال برأسه هكذا وهكذا ـ وجعل يحرّك رأسه يمنة ويسرة ـ مايُدريك أنت أنه قائم ؟ » (البيان والتبيين ٢ / ٢٦١) . وقال برأسه : أشار به[4] . وجاء في جارية لسليمان بن عبد الملك : « فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت :

من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موتِ

فزجّت نفسها في الحفيرة فماتت » (ثمرات الأوراق ص ١٠٤) . وقال الجاحظ : « والإراغة أن يذهب الصيد هكذا وهكذا » (الحيوان ٦ / ١٠٩) . وقال بعضهم للجاحظ (أخبار الأذكياء ص ١٤٦) :

كأنك كندر في ذنْبِ كبشٍ يُدَلْدَلُ هكذا والكبش يمشي

وفي « جامع البيان .. » للطبري عن عمّار الدهني : « ... فأوحى الله إليه أن قُل بعصاك هكذا ... قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا فصار فيها كُوى ... » (٢ / ٥٤) . وفي رسائل إخوان الصفاء : « فإذا ركّبت من هذه الثلاثة الأصول اثنين اثنين كان منها تسع نغمات ثنائية وهي هكذا : نقرة نقرتان ، مثل قولك تتن تتن » (١ / ١٩٨) . وقال الفيروزابادي في القاموس (مادة : ملع) : « والمَيْلَعُ : الطويل والمتحرك هكذا وهكذا » . وقال الخفاجي في شرحه على درة الغواص (الجوائب ص ١٧٦) : « وقد أنشده الميداني في أمثاله هكذا :

---

(4) [وفي وصية عبد الملك بن مروان لابنه الوليد : « فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ـ ديوان المعاني ١ : ١٥٢ ، ولرسول الله ﷺ يخاطب عمارا : « انما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا » ـ صحيح مسلم بشرح النووي ٤ : ٦١ / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيـــا عجبـــا لمن ربيتُ طفـلاً ألقمـــه بـــأطراف البنـــان

ونقل صاحب مجاني الأدب (١ / ٨٥) من ألف ليلة وليلة : « فمشيت إليه قليلاً قليلاً وقطعت الخرج بهذه السكين وأخذت الكيس هكذا : ومدّ يده وأخذ الكيس[٥] » . فكما يجوز أن تتحرك اليد أو الرأس أو غيرهما إلى أي جهة وعلى أي صورة ، يجوز أن ينطق بـ « هكذا » مع تلك الحركة . وتدلّ « هكذا » على مشار إليه قد كان أو هو كائن في أثناء الكلام ، أو تالٍ له .

كتاب مشكلات اللغة العربية

٦ ـ قول في الخُفّ :

للأستاذ محمود تيمور في كتابه « مشكلات اللغة العربية » المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٥٦ مقترحات في إحلال كلمات عربية محل كلمات أجنبيّة أو عاميّة . وهي مقترحات مفيدة تدلّ على وفور علمه وسعة اطلاعه . على أني أخالفه في اقتراحه أن يُنبذ لفظ الشبشب ويُستعاض منه بالخف (ص ١١٨) . والشبشب لفظة عامية مصرية لما يشبه النعل ، بل هو نعل بلا قبال ، وفي مقدّمه جلد كالكيس يضم الأصابع . كذلك هي صفته في ذهني ، وقد رأيته قبل زمن بعيد . وكأني بالشبشب سُمّي كذلك بالصوت الذي يُحدثه باحتكاكه بالأرض عند المشي . وهو مما يلبسه المصريون في بيوتهم . ومخالفتي رأي الأستاذ لسببين :

أحدهما : أن العامة استعملت الخُفّ لما يلبس في البيوت ، وهو المصنوع من نسيج أو جلد . ويغلب أن يكون مبطناً بالفرو أو الصوف

---

(٥) وجدت لغة القصة التي منها هذا النصّ عالية وذاكرتي الضعيفة تنبئني أنها منقولة من بعض مانُشر للتنوخي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أو نحوهما . ويضم معظم القدم ويمتسكها . وينفرش عند لبسه فيعرض ويصير له شَبَه يسير بخُفّ البعير . ويجوز أن يكون سمّي كذلك لذلك ، أو لكونه يجعل السير به خفيفاً أكثر من النعل ، وهي تسمية صائبة في الحالين[٦] . ولفظة الخف العامية هذه استعملت في الأدب الحديث . والشبشب لاتصح فيه هذه التسمية لما ذكرتُ من صفته . ولو قيل له « خُفّ » لالتبس معناه بمعنى الخف البيتي المذكور .

والسبب الآخر : أن التوسع في استعمال الخف من شأنه أن يخرجنا من معناه الذي عُرف قديماً ، وكان يستعمل بخارج البيوت . والمشهور منه قديماً ماكان يضم القدم والساق . ومنه ماكان واسعاً حول الساق ، وربّما حفظ فيه شيء لسعته ، كرقاعٍ (الوزراء والكتاب ص ١٨٨) ، أو دفتر (مروج الذهب ٤ / ١٠٧) أو كتاب (أمالي السيد المرتضى ١ / ١٣٨) أو دواة (جمع الجواهر ص ٣٠٣) ونحو ذلك . وأظنّ أنّ تلك الأشياء كانت تحفظ في كيس مخاط بالخف . وكان الخفّ لاتساعه وطوله رُبّما شُبّه بالقلنسوة (البيان والتبيين ٤ / ٨) . ويبدو أن اتساعه هذا جاءنا من الأتراك ، لذلك قال بديع الزمان : « وخف تركي ، أعلاه جراب ، وأسفله غراب » (يتيمة الدهر ٤ / ١٨٤) . وربما قُطع الخف إلى مادون الكعبين (الموطّأ ص ٢١٥) ، وهو المستعمل في زماننا هذا من قبل أكثر الناس ويُقال له حذاء . والخف القديم الذي يضم الساق يلبسه في عصرنا هذا قسم من الشرطة والجند والنساء ، ولكنه غير واسع حول

---

(٦) وجدت في محيط المحيط في الخف بمعناه القديم أنه سمي خفّاً لخفّته ، وذلك بعيد ، لما هو آتٍ من بيان صفته . [وهذه هي عبارة المعلم بطرس البستاني في محيط المحيط : « والخفُّ أيضاً واحد الخفاف التي تلبس في الرجل . سُمّي به لخفته . وهو شرعاً مايستر الكعب وأمكن به السفرُ أو المشي فرسخاً فما فوق ... وخُفٌّ ضاحك : أي مخرق تلوح القدم من خلاله / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الساق[٧] . ولا يُقال له خف في وطني العراق ، بل يقال له « جزمة » ، وهي لفظة تركية ، ولا أدري مايقول له العامة في سائر بلاد العرب[5] .

وأن نقول « خُفّ » لما يُستعمل من قبل قسم من الشرطة والجند والنساء عوضاً من « الجزمة » أو غيرها من ألفاظ العامة أولى من أن نقول للشبشب خف . ويحسن أن يُقال للشبشب نعل ، لأنه ضرب من أضربه ، أو أن يبقى على لفظه . وأجده عربياً أحرفاً ووزناً وتسمية ، وإن كان عامّياً .

ديوان أبي الأسود الدؤلي

٧ ـ « رأساً » لا « مباشرة » :

طبع ديوان أبي الأسود الدؤلي في بيروت سنة ١٩٧٤ ، وهو برواية السكّري . وجاء في مقدمة محققه الشيخ محمد حسن آل ياسين (ص ٨) : « والظاهر أنه لم يولّه مباشرةً » . وقوله « مباشرة » في هذا الموضع من تعابير هذا العصر . وقد فشا استعماله في لغة العامة والصحافة والأدب .

---

(٧) الخف الذي يلبسه قسم من النساء في هذا العصر كان يُلبس من قبل قسم منهن منذ زمن الجاهلية . وممن ذكره الشمّاخ . قال (الديوان ص ٨٣) :

وداويّة قفر تمشّى نعاجُها كمشي النصارى في خفاف اليرندج

قلتُ : شبّه مشي نعاج البيداء وسواد أرجلهنّ بمشي نساء النصارى وقد لبسن خفاف اليرندج . وفسّر ابن قتيبة البيت في المعاني الكبير (١ / ٣٤٧) على نحوٍ يتوهم فيه متوهم أن المراد بالنصارى عنده الذكور . وحذا حذوه الأعلم الشنتمري في شرح شواهد الكتاب (١ / ٤٥٤) ، ويراجع في ذلك أيضاً حاشية الديوان (ص ٨٣) . وعندي أن « النصارى » مضاف إليه ، والمضاف محذوف تقديره « نساء » ، وبذلك تقع المشاكلة في التشبيه بين النعاج والنساء .

(5) [وفي بلاد الشام تسميه العامة « جزمة » / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجعل التراجمة لايرون اللفظة الانكليزية « directly » الاّ نقلوها إلى « مباشرةً » . والأولى أن يعدل عنها إلى المعروف من كلام العرب ، كأن يُقال « رأساً » ، كقول البيضاوي في أنوار التنزيل في تفسيره سورة البقرة : « وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأساً » (ص ١٥٨) . وكقوله في تفسير سورة المائدة « لنفي القدرة عنه رأساً » (ص ١٥٨) . وقريب من ذلك « في الحال » ، كقول الحريري في المقامة الدينارية (المقامات ص ٣٥) : « فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال » . وأيضاً قريب منه « من فوره » كما في نزهة الألباء في الكسائي « فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره » (ص ٦٨) ، وكما في تأريخ الطبري (٨ / ١٢٩) : وخرج من فوره على البريد » . وأيضاً قريب منه « في الوقت » كما في نشوار المحاضرة في بعضهم وقد أُنشد بيت شعر لتعزيته وهو في مجلس العزاء : « فكتبه في الوقت ولم يشغله الحال » (٦ / ١٨٢) . وقد يستعمل بعضهم مباشرة والوجه حذفها بلا عوض منها ، كقول أستاذي الدكتور محمد مهدي البصير رحمه الله في كتابه « نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر » : « كانت الحلة التي تأتي بعد النجف مباشرة في المنزلة الأدبية » (ص ١٤) والوجه أن يُقال : « كانت : الحلة التي تتلو النجف في المنزلة الأدبية » . وقد سبقني أستاذي الدكتور مصطفى جواد رحمه الله إلى التنبيه على « مباشرة » ولكن على نحو آخر . ففي قول من قال : « أخذ الكتب عنهم مباشرة » قال : « الصواب أخذ الكتب عنهم سماعاً أو أخذها حضوراً » (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة ص ١١١) . فاختار سماعاً وحضوراً لتحل احداهما محل مباشرة لموافقتها تلك العبارة دون « رأساً » أو ماهو قريب منها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ـ « حَجَرات » أي نواحٍ لا « حُجُرات » :

وفي ديوان أبي الأسود المذكور ورد لأبي الأسود (ص ٤٢) :

كأنّ الظبـاء الأُدم في حُجراتـه وجُونَ النّعام شاجن وحمائلُهْ

وضُمت الحاء من (حُجراتـه) وكأنـه جمع حُجرة ، والصواب حَجَرات بفتحتين ، أي نواحٍ ، والمفرد حَجرة* ، قال بشر بن أبي خازم (الديوان ص ٨٨) :

جزيزُ القفا شبعان يربض حَجْرةً حديث الخصاء وارم العَقْل مُعْبَرُ

والغلط في ضبط « حَجَرات » وارد في بعض الكتب ، كما في مغني اللبيب بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وذلك في قول امرئ القيس (١ / ١٥٠) :

ودع عنك نَهْباً صِيح في حُجُراتـه ولكن حديثٌ ماحديث الرواحلِ

هكذا بضمتين من « حُجُراتـه »[6] . وبهاتين الضمتين ورد قول الفرزدق في ديوانه من طبعة صادر (٢ / ٣٥٨) :

كأنّ نهيم الغَلي في حُجُراتهـا تماري خصوم عاقدين النواصيا

والصواب في البيتين فتح الحاء والجيم .

---

* إن احتمل أن يكون الغلط من المطبعة لم أقل بذلك الاحتمال ، بل أتركه لحدس القارئ ، لأن ذلك يلزمني تكرير عبارة الاحتمال في مواضع من البحث على نحو قد يخلق ديباجة الكلام ، ويفضي إلى الإملال .

(6) [جاء البيت صحيح الضبط في ديوان امرئ القيس (القاهرة ١٩٥٨ م) : ٩٤ ، وقيل في تفسيره : الحجرات : النواحي / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٩ ـ « خدباء » لا « جرباء » :

وأيضاً في ديوان أبي الأسود (ص ٧٠) :

صفحتُ له بعد الأناة فرُعتُه بجرباء لم يعلم لها كيف أرصُدُ

وسكت الشيخ المحقق عن « بجرباء » بالجيم فالراء ، ولا معنى لها في البيت ، وإنما هي تصحيف « بخدباء » بالخاء المعجمة فالدال المهملة ، وهي الضربة التي لها عَوَر في موضعها . كذلك فسّرها السكّري اذ وردت بعد صفحتين في قول أبي الأسود (ص ٧٢) :

عرضت له بعد الأناة فرُعته بخدباء قد ترفضّ عنها المَجاوبُ

أو هي كما يستفاد من القاموس ضربة السيف التي تقطع اللحم دون العظم .

١٠ ـ أ « ذكّروك » أم « ذاكروك » ؟

وأيضاً فيه لأبي الأسود (ص ١١٣) :

لنا جيرة سدّوا المجازة بيننا فإن ذكّروك السدّ فالسد أكيسُ

و « ذكّروك » بتثقيل الكاف أظنها تحريف « ذاكروك » . وفي تصداق ذلك أنّ السكّري مهّد لهذا البيت ولآخر تلاه بقوله : « كان بين أبي الأسود وبين بعض بني عمه باب يتطرّقون منه ... وإنّ ابن عمه ذلك أراد سد ذلك الباب ... ثم إنه ندم فأراد أن يفتحه ... فأبى أبو الأسود » . فأي معنى للتذكير يصلح لسياق الكلام ؟ وأي حاجة إلى التذكير والباب المسدود يذكّرهم كل يوم خبر سدّه ؟ . أما « ذاكره السدّ » فالمراد منها فاوضه في الباب المسدود طماعة فتحه . يقال : ذاكره الأمر ، وذاكره بالأمر . أما ذاكره الأمر فما جاء في تأريخ الطبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٥ / ٣٠٣) : « فقدم على يزيد فذاكره ذلك » . وأما بالأمر ، فما قاله الشريف الرضي في مقدمته لنهج البلاغة (ص ٢١) : « وكثيراً ماأُذاكر الاخوان بها »[7] . ويقال : تذاكروا الأمر وتذاكروا به ، وليس هذا موضع شاهدهما .

١١ ـ « أو أكثر » لا « وأكثر » :

وأيضاً فيه لأبي الأسود (ص ١١٦) :

فقلت وبعض الظن يكذب أهله ويصدقهم وأكثر الظن كاذبُهْ

والواو من « وأكثر » تخل بالمعنى والوزن[8] ، وسياق القول يدل على أنّ

---

(7) [وعُرف أبو الحكم المنذر بن عبد الرحمن الأموي الأندلسي بالمذاكرة ، لأنه كان إذا لقي أحداً من اخوانه قال له : هل لك في مذاكرة باب من النحو ؟ فتكرر ذلك منه فلقب به (طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، إنباه الرواة ٣ : ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، البلغة : ٢٧١ ـ ٢٧٢) / المجلة] .

(8) [لإخلال بالوزن ، وإنما دخل الزحاف الحرف الخامس من (مفاعيلن) فأصبحت (مفاعلن) . وفي البحر الطويل « يجوز في كل مفاعيلن إلا التي في الضرب الأول أن تسقط ياؤه فيبقى مفاعلن ويسمى مقبوضاً » (كتاب الكافي للخطيب التبريزي : ٢٦ ، العيون الغامزة : ١٤٧ ، ١٤٨) ، ومن أمثلة زحاف القبض في الطويل قول امرئ القيس في المعلقة :

ترى بعر الأرآم في عرصاتها وقيعانها كأنه حبُّ فلفلِ

. . . . .

إذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل

. . . . .

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من كورها المتحمل

. . . . .

فجئت وقد نَضَتْ لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

. . . . .

فعدتُ له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعدما متأملي

. . . . .

ومرّ على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل منزل

/ المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرواية الصحيحة « أو » بمعنى « بل » . ومن مجيء « أو » بمعنى « بل » قوله تعالى : « وأرسلناه إلى مائة أو يزيدون » (الصافات / ١٤٧) ، وقول جرير في عدّة أولاده :

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

وقول ابن قتيبة في خطبته لأدب الكاتب : « ... غلط أو خطأ » أي : بل خطأ . وقول ابن قتيبة هذا يدلّ على أنّ الخطأ أشد من الغلط .

وكان الشيخ قال في مقدّمته (ص ١١) : « الذي يعتبر أول من وضع النحو » ، ثم قال في بعض حواشيه على الديوان (ص ١٤٤) : « باعتبارها في البيت اسماً ليكن » . وقد مضى القول في « اعتبر » مستوفى (الفقرة ٢) ، فأغنى عن إعادته .

مجلة المجمع (مج ٥٤ / ج١)

١٢ ـ تدّرج معنى « التصويب » :

أختم مقالتي هذه بالإشارة إلى فائتة فاتتني ، فأقول :

ذكر أرباب المعاجم اللغوية معنى واحداً للتصويب ، وهو الحكم بالصواب ، واستشهد غير واحد منهم لذلك بالمقولة : إن أخطأتُ فخطّئني وإن أصبت فصوّبني . وأظن أن هذا هو المعنى القديم له دون غيره ، ذُكر في معجم ثم تناقلته سائر أصحاب المعاجم دون أن يستقروا نصوص أهل العلم في أزمانهم . ومن أجل ذلك ، وأيضاً من أجل ما وقفت عليه من نصوص من كلام القدامى ، نشرت في هذه المجلة الزهراء (مج ٥٤ / ج١) مقالة عنوانها « المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ » خطّأت فيها قول هذا المعجم « وصوّب الخطأ : صحّحه » . ثم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زادت عندي النصوص التي تشهد لي حتى جاوزت أربعين نصّاً . على أني وجدتُ من بعدُ ثلاثة نصوص استعملت فيها صوّبه بمعنى صححّه أي أزال خطأه . وهي :

ا ـ قول ابن الجوزي في « أخبار الأذكياء » (ص ٦٦) : « كان بعض العمال واقفاً على رأس أمير ، فأخذه البول فخرج ، فلما جاء قال له : أين كنت ؟ قال : أصوّب الرأي ، يعني أنه لا رأي لحاقن » . وكان هذا أول النصوص الثلاثة التي وجدتها ، فذهب وهمي أول الأمر إلى أنّ « أُصوّب » تحريف « أقرّب » .

ب ـ وقول ابن بطوطة في تحفة النظّار : « والذي يخدم العربة يركب أحد الأفراس التي تجرّها ويكون عليه سرج ، وفي يده سوط يحرّكها للمشي ، وعود كبير يصوّبها به اذا عاجت عن القصد » (مجاني الأدب ١ / ١٣٣) .

ج ـ وقول السيد مرتضى الزبيدي في التاج (مادة : عير) ، وهو تعليقه على منع صاحب القاموس أن يُقال « عيّره بالأمر » بقوله : « فإنه قول العامة ، هكذا صوّبه الحريري في درّة الغوّاص » . فاستعمل « صوّب » بمعنى صحّح مع أنه كان أقرّ معنى التصويب في قول صاحب القاموس : « وصوّبه قال له أصبت » ، وذلك بأن علّق عليه قائلاً : « وتقول إن أخطأت فخطّئني وإن أصبت فصوّبني » . وليس القصد من استعماله التصويب بمعنى التصحيح أنه أراد أنْ يُرخي بعد إحكام ، أو أن ينقض بعد إبرام . وإنما هو سهو . ونحوه وقع لبعض العلماء قبله . وأيضاً يقع في العصر الحديث . وأقدم مستعملي التصويب بمعنى التصحيح من أصحاب هذه النصوص الثلاثة هو ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمترجح لديّ أن هذا الاستعمال كان مشاعاً على ألسنة العامة في زمنه . ويجوز أن يكون قبله بزمن طويل . فإن كان الذين جاءوا بعد ابن الجوزي من أصحاب المعاجم كابن منظور والصغاني والفيروزأبادي يعرفونه كان حقّاً عليهم أن ينبهوا عليه ، قائلين بخطئه اعتماداً على قول من تقدمهم ، أو بصحته أخذاً بالتدرّج اللغوي الطبيعي .

وفذلكة القول : أن تخطئتي المعجم الوسيط على الوجه المذكور كانت فائتة ، لأنها بنيت على استقراء لم يتم . وأن نصّ هذا المعجم : « وصوّب الخطأ صحّحه » فيه بعض الصحة . وقد يحتاز كال صحته لو أُثبت فيه مامعناه « وصوّبه : يستعمل بمعنى عدّه صواباً ، وهو أصل ، وبمعنى صحّحه ، أي أزال خطأه ، وهو مولد . واختص قولهم في العصر الحديث (تصويب الخطأ) بمعنى تصحيحه . » . وأن أصحاب المعاجم الذين أعقبوا ابن الجوزي فاتهم أن يشيروا إلى استعمال التصويب بمعنى التصحيح ، أي إزالة الخطأ .

وأنا اذ أضع فائتتي وفوائت غيري بين يدي القارئ ، أرجو أن يحيط بهنّ فضلُه ، وأن يوفي عليهنّ كرمُه . وكذلك هو رجائي إن قدّمت إليه فوائت أُخر . فلكلّ مشتغل بالعلم هَفَوات ، كما لكل جواد كَبَوات وهيهات أن نجد من حاز العلم بطَرَفيه ، والتحف بمطرفيه .

لندن : صبحي البصام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net